مثالا عن الكفاح من أجل التحرر والاستقلال في الجزائر . وفي هذا الشأن ، يجدر بنا القول ان نجاح معركة استقلال الشعوب العربية قد انعكس في الادب الواقعي ، حيث تتحرك الشخصيات الثورية بصفتها التمثيلية ، محققة الانتصارات في نضالها ضد الامبريالية ونضالها الاجتماعي . ويقدم المناضل المناهض للامبريالية في الادب العربي الحديث ضمن حالات جد مختلفة بصفته مواطنا مضطرما . وهكذا أظهر الكاتب الجزائري محمد ديب ، في روايته « سيف افريقي » ، الفلاح (مرحوم) الذي كان يخاطر بنفسه لتموين المقاتلين في الجبال ، جالبا لهم الغذاء الضروري . وبهذه اللفتة عبر عن دعمه للكفاح المسلح ضد السيطرة الاستعمارية الفرنسية(٣٢) .

مثال آخر عن معركة الاستقلال ، « غير مباشر » هذه المرة . اذ أننا نلتقي أحيانا بين الامثلة العديدة للبطل الثوري ، بنماذج ليست للوهلة الاولى نماذج « نجعيّة » ، لكنها تمارس نفوذا عظيما بفكرها وفعلها الثوريين فيمن حولها .

لقد قدم لنا أحمد ابراهيم الفقيه الكاتب الليبي هذا النموذج في قصته « الجراد » التي نشرت قبل سقوط الملكية . في هذه القصة : عامل زراعي بسيط يصبح بطلا عندما يجند قرية كاملة لتواجه خطر سرب من الجراد . ويصبح مثالا ثوريا لحدة ذهنه ، وفعله المباشر ، اذ يقدم اقتراحا عمليا لمواجهة هذه الكارثة الطبيعية ، والتي حسب ما يبدو ، لا يمكن تحاشيها ، وقد أداه ذلك لمهاجمة سلطة الشيخ كي يحمي قريته من الجراد . هذا الشيخ ، حاول ان يفرض على القرية اقتراحات لا فائدة فيها تماما ، مثل زيارة ضريح احد الاولياء ، او الدعاء ، او اشعال النار وضرب الطبول من حولها ، بينما يبدي الشاب العامل فكرة حقا ثورية ، وحتى الان ليست متصورة ، تزعزع سلطة القدامى بقوة ، وتعرضهم للسخرية : « ان فكرتي هي هذه . . . أن نأكل الجراد بدل ان يأكلنا »(٣٣) .

حقا ، لا تحول هذه الفكرة البسيطة العامل الزراعي الشاب الى ثوري بالمعنى الواسع المنسوب للمجتمع ، لكنها تمثل تحت شكل فني لقصة ، شيئا لم نره أبدا الى ذلك الحين : ثورة تطيح بالمؤسسات الدولية (من دولة) والدينية والتصورات التقليدية .

وليس هذا كل شيء، اذ لا تبقى الفكرة عند حدود الفكر، بل توضع على محك العمل، وتتطور بصفتها واقعا اجتماعيا جديدا . ولا يتحقق هذا التطور من خلال الطرق التقليدية ، ولكن بعون اناس بسطاء — سكان القرية : الاطفال ، والشيوخ ، والنساء، والرجال — يخرجون تحت قيادة الشاب العامل الزراعي (وليس الممثل الديني الدولي — من دولة —) الى الحقول ، كي يجمعوا الجراد المشلول في استرخائه بسبب الليل . وهكذا ينجح بانقاذ القرية من الكارثة ، ويغدو الجراد غذاء وفيرا للسكان . لقد أصبحت فكرة العامل الزراعي حقيقة ، والبطل مثالا ثوريا . لم يحترمه وسطه لشجاعته ومواجهته التصورات الرجعية السلطوية فقط ، بل ايضا لثباته عند العمل من أجل رغد العيش الجماعي .

وفي الوقت نفسه فان هذا الاحترام تجاه البطل الفردي يعبر عنه في الفعل الجماعي، فعل أهل القرية . ويمكن القول ان الناس البسطاء هم الابطال الحقيقيون لهذه الواقعة الغريبة ، العادية في الوقت نفسه .

ولننه لمحتنا القصيرة حول علم الجمال العربي الجديد نلخص هنا ما امتاز به من ملامح تقدمية تكمن فيما يعكسه من تقدم اجتماعي في الواقع ، ويعطينا بالتالي جوابا حول واقعية الابطال . ولنلاحظ اولا ان هؤلاء الابطال يدافعون عن **التقدم الاجتماعي** ،